مكتبة دير السريان

# مزمور التوبة

## تأملات في المزمور الخمسين

إعداد
**الأنبا متاؤس**
أسقف ورئيس دير السريان

دير السيدة العذراء مريم

( السريان )

# مزمور التوبة

إعداد وتقديم

**الأنبا متاؤس**

أسقف دير السريان العامر

قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

نِيَافَةِ الْحَبْر الْجَلِيل الأنبَا مَتَّاؤُس

أُسقُف ورَئِيس دَيْر السَّيِّدة الْعَذْرَاء ( السُّرْيَان )

باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

# مقدمة

المزمور الخمسون مزمور التوبة القوية هو مزمور مهم لأننا نستخدمه كثيراً في صلواتنا الفردية والجماعية، لذلك رأيت أن أكتب هذه التأملات حول هذا المزمور لمنفعة المصلين حتى يصلوا بفهم وتركيز في كل كلمة ينطقونها كما علمنا معلمنا بولس الرسول وقال: " أُصَلِّي بِالرُّوحِ وَأُصَلِّي بِالذِّهْنِ أَيْضاً. أُرَتِّلُ بِالرُّوحِ وَأُرَتِّلُ بِالذِّهْنِ أَيْضاً " ( ١كو ١٤: ١٥ )، " لأَنَّهُ إِنْ كُنْتُ أُصَلِّي (فقط) بِلِسَانٍ فَرُوحِي تُصَلِّي وَأَمَّا ذِهْنِي فَهُوَ بِلاَ ثَمَرٍ ( ١كو ١٤: ١٤ ) يعني بلا فهم. ومثل هذا المصلي لا يتعزى في صلاته. فالصلاة يجب أن تكون بالروح والذهن أي بفهم كلمات الصلاة والتأمل فيها.

إنه بحث صغير ولكنه مفيد، أرجو أن يستفيد منه كل من يقرأه بشفاعة أمنا الطاهرة مريم وبصلوات أبينا المكرم البابا تواضروس الثاني.

ونعمة الرب تشملنا جميعاً وتباركنا وترعانا آمين، ، ،

**الأنبا متاؤس**

**أسقف دير السريان العامر**

**صوم الميلاد ٢٠٢١م**

# تفسير المزمور الخمسين

## تمهيد:

هذا المزمور يُسمى بجدارة مزمور التوبة، قاله داود بعد خطيته المشهورة في الزنا مع بَثْشَبَعَ وقتل زوجها الجندي المخلص أوريا الحثي وهو رجل من أصل حثي أي من شعب الحثيين ولكنه انضم إلى اليهود وعمل جندياً في جيش داود ومعنى الاسم الله نوري ومعنى اسم زوجته ابنة اليوم السابع.

حاول داود إخفاء خطية الزنا فاستدعى أوريا من الحرب وأمره أن يبيت في بيته مع امرأته حتى إذا عرف بعد ذلك أن امرأته حبلى يتأكد أن الحمل منه وتزول الشبهة عن داود ولكن ذلك الجندي المخلص رفض أن يذهب إلى بيته ونام على باب بيت الملك ولما سأله داود لماذا لم تنزل إلى بيتك؟ أجاب بتواضع وأمانة: إِنَّ التَّابُوتَ

وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لِآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي! وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ لاَ أَفْعَلُ هَذَا الأَمْرَ.

وفشلت خطة داود لإخفاء جريمته ففكر في جريمة أخرى يخفي بها جريمته الأولى فكتب مكتوباً إلى يوآب قائد الجيش " اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ" وأرسل المكتوب بيد أوريا ، ونفذ يوآب أوامر الملك وجعل أوريا في المواجهة فمات أوريا وأرسل يوآب إلى الملك يخبره بذلك. ( تأمل في وفاء وأمانة أوريا في مقابل خيانة داود ).

وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ ( ٢صم ١١ ) فأرسل ناثان النبي إلى داود ليوقظ ضميره النائم. وكان ناثان نبياً مقرباً إلى داود ومستشاراً له

يخبره بنصائح الرب وتحذيراته أرسله ليبكته على فعله الشنيع ويكشف له خطيته التي أراد إخفاءها فحكى له قصة خيالية عن رجل غني عنده غنم كثير ولما جاءه ضيف ترك غنمه وأخذ غنمة جاره الوحيدة وذبحها ليهيئ طعاماً للضيف فحمى غضب داود وقال ليقتل الرجل، وهنا قال ناثان أنت هو الرجل المستحق القتل لأن الله أعطاك ملكاً وغنى ونساء كثيرات وسراري واعتديت على الزوجة الوحيدة لجارك وجنديك المخلص أوريا وقتلته أيضاً لتأخذ امرأته زوجة لك.

وهنا انهار داود واعترف بخطيته أمام ناثان وقال أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: الرَّبُّ أَيْضاً قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ. لاَ تَمُوتُ. أي لا تموت الموت الثاني أي الهلاك الأبدي بسبب هذه الخطية، ولكنه فرض عليه

بعض العقوبات حتى إذا احتملها ونفذها تغفر له هذه الخطية.

١ – الطفل ثمرة الخطية يموت، ومات فعلاً بعد ولادته بقليل.

٢ – السيف لا يفارق بيتك، وفعلاً قتل أولاده بعضهم بعضاً ( ٢صم ١٣ ).

٣ – يُفعل بنسائك في عين الشمس، وفعلاً عندما قام ابنه أبشالوم بثورة على أبيه لينتزع منه الملك هرب داود فدخل أبشالوم على نسائه السراري على سطح البيت في عين الشمس أمام جميع إسرائيل ( ٢صم ١٦: ٢٢ ).

وبعد هذه المقابلة الساخنة ذَهَبَ نَاثَانُ إِلَى بَيْتِه ( ٢صم ١٢: ١٥ ).

في سر الاعتراف المسيحي يحدث نفس ما حدث بين ناثان وداود. يعترف الخاطئ بخطاياه أمام الأب الكاهن

في حضور الروح القدس الذي يكون حاضراً في جلسة الاعتراف، فيعطي الأب الكاهن للمعترف النصائح والتوجيهات اللازمة لحالته، وإن كانت خطية تحتاج لقانون أو عقوبة يعطيه القانون المناسب مثل:

صوم زيادة – ميطانيات زيادة – صدقة زيادة – حرمان من التناول فترة محددة حتى يحس المعترف بخطئه ويتوب عنه ويحاول عدم تكراره في المستقبل، ثم يصلي له التحليل لغفران الخطايا التي اعترف بها كما قال ناثان لداود: الرَّبُّ أَيْضاً قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ. لاَ تَمُوتُ ( ٢صم ١٢: ١٣ ) أي لا تموت الموت الثاني أي الهلاك الأبدي، لأن الروح القدس الحاضر والسامع للاعتراف عند صلاة التحليل ينقل الخطية من حساب المعترف إلى حساب المسيح حمل الله الذي يحمل خطايا العالم كله وبدمه المسفوك على خشبة الصليب يغفرها ويلاشيها حسب قول

الرسول يوحنا: دَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ ( ١يو ١: ٧ ).

عمل داود الخطية حينما استرخى وتكاسل عن صلواته وعن أعماله كملك وعن قيادة الجيش في الحرب كعادته يقول الكتاب: وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ ( يعني كان نائماً ) وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ ( ٢صم ١١: ٢ ) وكأنه في فسحة أو أجازة في استرخاء.

النوم الكثير خطر، الاسترخاء خطر، الكسل مضر، النظرة الشريرة الشهوانية أول خطوة للخطية إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ ( مت ٥: ٢٨ )، لكن داود بدلاً من أن يغض النظر وينزل ليباشر أعماله ويطرد الفكر النجس من عقله ويهرب من

فعل الشر استدعى المرأة إلى بيته واغتصبها ، وفعل ذلك الشر العظيم وأخطأ إلى الله وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ ( ٢صم ١١ : ٢٧ ).

وبسبب محبة الله لداود واهتمامه بخلاص نفسه أرسل إليه ناثان النبي ليوبخه ويوقظ ضميره النائم المخدر ليعترف بخطيته نادماً فيغفرها له الله.

هذا المزمور مهم جداً لأننا نصليه في مقدمة كل ساعة من صلوات السواعي في الأجبية ، كما نصليه في كثير من طقوس الكنيسة بعد صلاة الشكر. في المعمودية ، في مسحة المرضى ، في اللقان ، في الصلاة على الراقدين وغير ذلك.

وهذا وضع صحيح، نتلو أولاً صلاة الشكر سواء بالقبطي أو بالعربي شاكرين الله على كل حال ومن أجل كل حال وفي سائر الأحوال على إحساناته الكثيرة علينا وهي لا تعد ولا تحصى بل هي جديدة كل صباح ثم نطلب طلباتنا وأول الطلبات المقبولة طلب الرحمة من الله.

# تأمل في المزمور

## ارحمني يا الله كعظيم رحمتك، ومثل كثرة رأفتك امحُ إثمي

بعد أن جاء ناثان النبي ووبخ داود على خطيته ثم تركه وعاد إلى يته، جلس داود وحده ورجع إلى نفسه وأحس بثقل الخطايا التي ارتكبها صرخ إلى في حزن ومرارة شديدة ارحمني يا اللّه كعظيم رحمتك ... وكأنه يقول في مزموره أنا لا أحتاج رحمة عادية ولا رأفة عادية بل إلى عظيم رحمتك وكثرة رأفتك حتى ترفع عني ثقل هذه الخطايا الجسيمة والشرور العظيمة التي فعلتها بأوريا وزوجته.

الخطية خاطئة جداً كما قال الرسول بولس: ومُرة جداً.

الخطية احتقار للّه. قال الرب لداود لأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِتِّيِّ (٢صم ١٢: ١٠).

الخطية كسر واحتقار لوصايا الله، وبخ الرب داود قائلاً: لِمَاذَا احْتَقَرْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ لِتَعْمَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيْهِ؟ (٢صم ١٢: ٩).شعر داود بمرارة عظيمة فطلب من الرب رحمة عظيمة ورأفات كثيرة لتمحو هذه الخطايا الثقيلة.

نحن أيضاً خطاة ونحتاج لرحمة الله الغافرة لذلك علمتنا الكنيسة أن نكرر كثيراً صلاة كيرياليسون يارب ارحم نكررها ٤١ مرة في كل صلاة من صلوات السواعي. ٤١ = ٣٩ جلدة + إكليل الشوك + الطعنة بالحربة = ٤١ وكأننا نقول له: بحق آلامك المبرحة من أجلنا ارحمنا.

أغلب مردات رفع البخور والقداس كيرياليسون وأغلب مردات صلوات الطقوس المتنوعة كيرياليسون. ذلك لأن كيرياليسون يارب ارحم تشمل كل الطلبات والاحتياجات.

أعمى أريحا عندما علم أن الرب يسوع مارر من أمامه صرخ بكل عزمه يا يسوع ابن داود ارحمني يريد أن يبصر لو ١٨: ٣٨.

أعميان آخران في أريحا صرخا نفس الصراخ يا سيد يا ابن داود ارحمنا. فتحنن يسوع ولمس أعينهما وللوقت أبصرا مت ٢٠: ٢٩ – ٣٤.

وعندما كان مجتازاً في الجليل والسامرة استقبله عشرة برص فوقفوا من بعيد ورفعوا صوتاً قائلين يا يسوع يا معلم ارحمنا فقال لهم اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة وفيما هم منطلقون طهروا (لو١٧: ١١ – ١٤ ).

في الضعف قال المرنم ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي ضَعِيفٌ ( مز ٦: ٢ ).

في الضيق قال المرنم اِرْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي فِي ضِيقٍ (مز ٣١: ٩).

لطلب الشفاء قال المرنم يَا رَبُّ ارْحَمْنِي. اشْفِ نَفْسِي لأَنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ مز ٤١: ١.

طلب التوبة قال العشار: اللهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ لو ١٨: ١٣.

بعض الكنائس يصلي رهبانها وشعبها صلاة يسوع أي الصلاة السهمية يا ربي يسوع المسيح ارحمني في صلواتهم الخاصة، يكررونها آلاف المرات في اليوم، والرب يسوع يسدد كل احتياجاتهم لأنه يعرفها قبل أن يسألوه.

**تغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيتي تطهرني.**

يطلب من الرب أن يطهره تماماً من خطاياه ليصير كالثوب الأبيض النقي. اغسلني كثيراً وليس غسيلاً عادياً حتى أصير أكثر بياضاً ونقاء حسب قول الكتاب: سَارَ أَمَامَكَ بِأَمَانَةٍ وَبِرٍّ وَاسْتِقَامَةِ قَلْبٍ مَعَكَ (١مل ٣: ٦). وقال الكتاب أن الرب أقام لهم مَلِكاً الَّذِي شَهِدَ لَهُ أَيْضاً

إِذْ قَالَ: وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي (أع١٣: ٢٢).

جاء المسيح وغسلنا من خطايانا بدمه (رؤ ١: ٥ ).

ويقول الرائي عن القديسين في السماء هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَتُوا مِنَ الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوهَا فِي دَمِ الْحَمَلِ ( رؤ ٧: ١٤ ) المعمودية تغسلنا من خطايانا الجدية والتوبة والاعتراف إلى جانب الدموع تغسلنا من خطايانا الفعلية.

## لأني عارف بإثمي وخطيتي أمامي في كل حين

في بادئ الأمر أراد داود أن يخفى خطيته ويرميها وراء ظهره ويتناساها، لكن لما أرسل الرب ناثان النبي ليعاتبه ويوبخه استيقظ ضميره وأحس بثقل الخطية ومرارتها فندم وقال أنا عارف بإثمي وخطيتي أمامي في كل حين وهذا هو حال التائب النادم لا ينسى خطاياها حتى التي

اعترف بها وغُفرت حتى يظل حريصاُ مستيقظاً ولا يسقطه الشيطان فيها أو في مثلها مرة أخرى.

يقول القديس أنطونيوس: إذا تذكرنا خطايانا ينساها لنا الله، وإذا نسينا خطايانا ( ولم نعترف بها ) يذكرها لنا الله ( ويعاقبنا عليها ) يقول الحكيم: مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ ( أم ٢٨: ١٣ )، ويقول الرسول: إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ( ١يو ١: ٩ ). ينصحنا بطرس الرسول ويقول: فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ ( أع ٣: ١٩ ).

## لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت

الخطايا التي عملها داود ضد أوريا الحثي وزوجته اعتبرها الله موجهة له شخصياً لأنه خالق أوريا وخالق

زوجته وأمرهما يهمه، فوبخ داود قائلاً لأنك احتقرتني ( شخصياً ) وأخذت امرأة أوريا، كما اعتبرها موجهة ضد وصيته " لا تزن " لذلك يصرخ داود قائلاً لك وحدت أخطأت والشر قدامك صنعت. لقد كرر ما قاله لناثان أخطأت إلى الرب. أي خطية يعملها الإنسان ضد أخيه الإنسان تعتبر موجهة في المقام الأول ضد الله ذاته لأنه هو خالق الإنسان ومدبر أموره وولي أمره. عندما أخذ أبيمالك ملك جرار سارة زوجة إبراهيم وأراد أن يتزوجها ظهر له الرب وعنفه قائلاً: هَا أَنْتَ مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَخَذْتَهَا فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ بِبَعْلٍ أَنَا أَيْضاً عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبِكَ فَعَلْتَ هَذَا. وَأَنَا أَيْضاً أَمْسَكْتُكَ عَنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ لِذَلِكَ لَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا ( تك ٢٠: ١ — ٧ ) ولما طلبت امرأة فوطيفار ليوسف الصديق قائلة: اضطجع معي تركها

وهرب إلى خارج البيت وهو يقول: كَيْفَ أَصْنَعُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟ ( تك ٣٩: ٩ ).

الله خلقنا على صورته ومثاله ووضع فينا صورته الإلهية فأي خطية نعملها ضد أي إنسان يعتبرها الله موجهة له فيجب أن نتوب عنها ونعترف بها ونقول يارب لك وحدك أخطأت.

**لكي تتبرر في أقوالك وتغلب إذا حاكمت** ( في البيروتية ) تزكو في قضائك

هنا يتذكر داود إحسانات الله عليه وهي كثيرة وجديدة كل صباح في مقابل خيانته الشنيعة فيقول: أنت يارب بار وقدوس ورحيم ومحب في كل أقوالك وأعاملك، وأنا الخاطئ الخائن إذا حاكمتني بعدلك ستغلبني وتظهر خطاياي فأهلك، ولكني أطلب رحمتك الكثيرة تنتشلني من هذه الهوة السحيقة التي وقعت فيها.

يقول داود في مزمور آخر: إن كنت للآثام راصداً يارب يارب من يبت، لكن من عندك المغفرة (مز ١٣٠).

خطايانا كلها موجه لله، والله حاكم عادل لو حاكمنا بعدله سنهلك ولكننا نطلب رحمته التي تريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.

الجأ الآن إلى الله برحمته قبل أن تقف أمامه كديان عادل في يوم الدينونة العظيم.

**لأني ها أنذا بالآثام حُبل بي وبالخطايا ولدتني أمي**

يتذلل داود أمام الرب ويقول إني وارث الخطية الجدية التي صنعها أبونا آدم وأمنا حواء وطبيعتي فاسدة تميل إلى الشر والخطية، سامحني يارب على فعلتي الشنعاء هذه.

جاء السيد المسيح وجدد طبيعتنا وأحيانا بموته على الصليب وأسس سر الولادة الجديدة بالمعمودية بالماء والروح، وفيها ينال المعمد الخلاص من الخطية الجدية

وفساد الطبيعة الذي ورثه من آدم وحواء، فيسلك بطبيعة جديدة نقية بريئة من كل خطية وفساد. وبالتالي لا يكون له عذر كداود في خطيته لأنه قد تطهر منها وأصبحت له طبيعة جديدة غير فاسدة.

**لأنك هكذا قد أحببت الحق إذ أوضحت لي غوامض حكمتك ومستوراتها**

يقول داود أنا أخطأت ضد الحق الذي هو الله، أما أنت يارب فتحب الحق والعدل وتعمل الحق دائماً، وقد علمتني ما لم يعلمه غيري، علمتني الناموس والشريعة وأوضحت لي غوامضها وأسرارها حتى أسلك بمقتضاها ولا أحيد عنها بل أحفظها وأعمل بها.

كان داود يطلب إلى الله ويقول: أحسن إلى عبدك فأحيا وأحفظ أقوالك. اكشف عن عينيّ فأرى عجائب من ناموسك. غريب أنا على الأرض فلا تخف عني

وصاياك اشتاقت نفسي إلى اشتهاء أحكامك كل حين ( مز ١١٩ ١٧ – ٢٠ ). وقد أعطاه الرب سؤل قلبه فقال في نفس المزمور وصيتك جعلتني أحكم من أعدائي. أكثر من معلميّ تعقلت لأني حفظت وصاياك أكثر من الشيوخ فطنت لأني حفظت أحكامك من كل طريق شرير منعت رجلي لكي أحفظ كلامك ( مز ١١٩: ٩٨ – ١٠١ ).

أخيراً جاء الحق الذي هو يسوع المسيح الذي قال أنا هو الطريق والحق والحياة وعلمنا شريعة العهد الجديد بفمه الطاهر لكي نعيش بمقتضاها.

**تنضح عليّ بزوفاك فاطهر. تغسلني فأبيّض أكثر من الثلج**

الزوفا نبات عطري الرائحة حار المذاق استعمله اليهود للتطهير من البرص الذي يرمز إلى الخطية ( لا ١٤ ) وقد سبق أن أمر موسى بني إسرائيل وهم في مصر أن يرشوا دم خروف الفصح على القائمتين والعتبة العليا بحزمة

الزوفا حتى إذا رأى الملاك المهلك الدم يعبر ولا يدخل بيوتهم ليقتل الأبكار ( خر١٢: ٢٢، ٢٣ ).

وهنا يطلب داود أن ينضح عليه الرب بالزوفا ليطهره من خطاياه الشنيعة التي ارتكبها بالزنا والقتل والتي أصبحت لاصقة فيه وأصبح هو مشهوراً بها حتى يطهر منها، يريد غسيلاً كثيراً من خطاياه اللاصقة به حتى يتنقى أكثر من الثلج.

المعمودية تغسلنا من الخطايا الجدية وخطايانا الفعلية فتصبح حياتنا بعد المعمودية أكثر بياضاً وأكثر نقاء من الثلج.

**تُسمعني سروراً وفرحاً فتبتهج عظامي المنسحقة** ( المتواضعة )

عندما سمع داود الحِل من فم ناثان النبي بعد الاعتراف بخطاياه أحس بالبهجة والفرح والسرور وعاشت روحه فيه بعد أن كانت الخطية والحزن قد سحق عظامه وحطم

معنوياته وأحس بالهلاك يقترب منه خصوصاً عندما سمع من الرب: لماذا احتقرتني واحتقرت وصاياي لتعمل الشر في عينيّ، ولكن عندما اعترف بخطيته وقال أخطأت إلى الرب وسمع كلمات الحِل الرب أيضاً نقل عنك خطيتك لا تموت أي لا تهلك عاشت روحه فيه وابتهج قلبه وانتعشت نفسه بداخله وأصبح إنساناً جديداً. هكذا تعمل التوبة بكل تائب أمين.

## اصرف وجهك عن خطاياي وامح كل آثامي

بعد أن أعلن داود توبته يتوسل إلى الله أن يصرف وجهه عن هذه الخطايا ويمحو تلك الآثام ويطرحها في بحر النسيان بينما يلتفت إلى داود التائب ويعتني به، ويقول في المزمور الأول الرب يعرف طريق الأبرار أما طريق المنافقين فتباد. أي الله يهتم بالأبرار ويرعاهم ويبتعد عن المنافقين ويقول لهم اذهبوا عني يا ملاعين أنا

لا أعرفكم. ويقول في مزمور آخر أما أنا فمسكين وبائس الرب يهتم بي، عوني ومنقذي أنت يا إلهي لا تبطئ ( مز ٤٠: ١٧ ).

## قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدده في أحشائي

في البداية خلق اللّه الإنسان على صورته ومثاله في البر والطهارة والقداسة ونقاوة القلب، قَالَ اللّهُ: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا ... فَخَلَقَ اللّهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللّهِ خَلَقَهُ ... وَرَأَى اللّهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدّاً ( تك ١ ).

وبعد السقوط عمل الإنسان الشر والخطية وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ ( تك ٦: ٥ ). حتى وصلت الإنسانية إلى داود فأخطأ هذه الخطايا الفادحة ولما أحس بخطئه صرخ قائلاً قلباً نقياً اخلق فيّ يا اللّه

وروحاً مستقيماً جدده في أحشائي. أحس أن قلبه قد تنجس بالخطية وروحه قد تلطخت بالإثم فطلب من الله أن ينقي قلبه وأن يطهر روحه ليعودا إلى صفائهما ونقائهما.

يقول الرب للتائبين على لسان حزقيال النبي: وَأُعْطِيكُمْ قَلْباً جَدِيداً، وَأَجْعَلُ رُوحاً جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ. وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا ( حز ٣٦: ٢٦، ٢٧ ).

كان القديس الأنبا أبرآم أسقف الفيوم الراحل يصلي هذا المزمور بروحانية عالية، وعندما يصل إلى آية قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدده في داخلي كان يقرع صدره ويكررها عدة مرات وبصوت عال يسمعه

الموجودون خارج قلايته وقد أعطاه الله سؤل قلبه القلب النقي والروح الطاهرة الشفافة وأصبح قديساً عظيماً.

**لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني**

إذا صرف الأب وجهه عن ابنه وأهمله يحزن جداً ويحسبها خسارة فادحة، وإذا طرح الله الإنسان بعيداً عن نظره يكون ذلك هلاكاً له، لذلك يصرخ داود أمام الله لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني.

وقد حدث في القديم لما رأى الله أن شر الإنسان قد كثر وتصورات قلبه شريرة ورفض التوبة والرجوع إلى الله أن الله قال لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر ( مائل إلى الشر بطبعه ) بمعنى لا يسكن روح الله في الإنسان ليبكته على خطاياه ليندم ويتوب وجلب عليهم الطوفان وأبادهم جميعاً لعنادهم وشرهم وهلكوا جسداً وروحاً.

كذلك في أيام داود رأى بعينيه ما حدث لشاول حين تجبر وتكبر وعاند صموئيل النبي ذَهَبَ رُوحُ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ، وبَغَتَهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ ( ١صم ١٦: ١٤ ) وتدهورت حالة شاول حتى قُتل في الحرب وهلك جسداً وروحاً.

خاف داود من هذا المصير المرعب فصرخ في مزموره بعد توبته قائلاً: لا تطرحني من قدام وجهك لئلا أهلك وروحك القدوس لا تنزعه مني لئلا أضل الطريق وتكون نهايتي كنهاية شاول، لأن الروح القدس في الإنسان يبكته على خطيته فيتوب عنها وعلى بر قصر فيه فيعمله ويذكره دائماً بالدينونة فيتوب ويستعد لها. أما الذي يفارقه روح الله فيشرب الإثم كالماء دون توبة.

في العهد القديم كان الروح القدس يفارق الإنسان إذا عاند وأخطأ ولم يتب كما حدث مع شاول، أما في العهد الجديد فقد أخذنا الروح القدس في المعمودية والميرون وهو

يثبت فينا ولا يفارقنا أبداً ولكنه بسبب خطية الإنسان وعناده وعدم توبته رغم تبكيت الروح القدس له قد يحزن ( أف ٤ : ٣٠ ) أو ينطفئ ( ١تس ٥ : ٩ ) فلا يعود يعمل كعادته داخل الإنسان بل يسلمه إلى ذهن مرفوض ليفعل ما لا يليق.

## امنحني بهجة خلاصك، وبروح مدير عضدني

عندما أخطأ داود فقد فرحه وبهجته وتملكه الحزن والكآبة من وخز الضمير والإحساس بمرارة الخطية، فابتدأ يصرخ إلى الله ويقول رد لي بهجة خلاصك، أي اغفر لي خطيتي وخلصني منها حتى تعود لي بهجتي وسعادتي بخلاصي من الخطية.

كما طلب إلى الله أن لا يفارقه روح الله كما فارق شاول الملك الذي قبله يطلب هنا أن يعضده الله بروحه القدوس حتى ينشط فيه ويتوهج ويقوده إلى التوبة ويملأه

بالبركات والمواهب الروحية والحكمة والنبوة كما قال في مزمور آخر روحك القدوس فليهدني إلى طريق مستقيم. وقد شهد الرب يسوع أن داود كتب مزاميره بالروح القدس فقال داود يدعو المسيح رباً بقوله: قَالَ الرَّبُّ ( الآب ) لِرَبِّي ( المسيح ) اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ؟ ( مت ٢٢: ٤٣ ) ( مز ١١٠: ١ ) وقال داود في كلماته الأخيرة رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي ( ٢صم ٢٣: ١، ٢ ).

**فأعلم الأثمة طرقك، والمنافقون إليك يرجعون**

داود بتوبته القوية وانسحاقه صار معلماً وقدوة صالحة لكل الأثمة الذين يريدون التوبة ولكل الأشرار والمنافقين الذين يريدون العودة إلى الله بالتوبة النصوح. وتوجد في التاريخ بعض النماذج المشجعة مثل القديس موسى الأسود الذي أصبح نموذجاً وشفيعاً للتائبين ومثل القديسة مريم

المصرية السائحة التي قبل الله توبتها وأصبحت ناسكة وسائحة على أعلى مستوى وبتوبتها الصادقة انتشلها الله من هوة الخطية إلى أعلى درجات القداسة ومن حق هؤلاء أن يقولوا: عظم الرب الصنيع معنا فصرنا فرحين وسعداء برجوعنا لله وأملنا في خلاص نفوسنا.

**نجني من الدماء يا الله إله خلاصي فيبتهج لساني بعدلك**

يتضرع داود متذللاً إلى الله طالباً نجاته من دم أوريا الحثي البار الأمين الذي سفكه داود ظلماً لأن ضميره يؤنبه بشدة على هذه الفعلة الشنعاء ويطلب من الله أن يخلصه منها ومن عواقبها الوخيمة التي هي هلاك أبدي، وإذا اطمأن لغفران الله يبتهج ويشكر ويسبح الله على بره ومحبته وغفرانه.

كل إنسان يؤذي إنساناً آخر أو يظلمه بأي وجه من الوجوه فهو قاتل نفس وسافك دم يجب أن يقدم توبة لله

ويرفع الظلم عن المظلومين ويطلب السماح ممن آذاه حتى يقبل الله توبته ويرد له بهجة خلاصه.

**يارب افتح شفتي فيخبر فمي بتسبيحك**

الخطية أقفلت فم داود عن الصلاة والتسبيح وأصابته بنوع من الكآبة والإحباط وعدم القدرة على رفع عينيه إلى السماء، وهنا يطلب من الله أن يغفر له خطاياه ويرد له بهجة خلاصه حتى يعود إليه فرحه فيفتح شفتيه بالشكر والتسبيح والمزامير. من عادة الخطية أن تسد نفس الخاطئ عن اللجوء لله وتسد فمه عن التسبيح وتحول حالته إلى جحيم.

**لأنك لو آثرت الذبيحة لكنت الآن أعطي، ولكنك لا تسر بالمحرقات. فالذبيحة لله روح منسحق**

في العهد القديم أيام داود كان إذا أخطأ إنسان يأتي بذبيحة ثوراً أو خروفاً حسب مقدرته إلى باب خيمة

الاجتماع ويضع يده على رأسها ويعترف بخطيته أمام الكاهن فيأخذ الكاهن الذبيحة ويذبحها ويحرقها على مذبح المحرقة فيطمئن الخاطئ أن خطاياه قد غفرت.

ولكن داود بروح النبوة عرف أن الله لا يسر بهذه الذبائح لأنها مجرد رمز للذبيح الأعظم ربنا يسوع المسيح على الصليب وقال عنها بولس الرسول: لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا ( عب ١٠: ٤ ) بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ ( عب ١٠: ٦ ) ذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلاَ سُرِرْتَ بِهَا ( عب ١٠: ٨ ) الكاهن في العهد القديم، يقدم مراراً كثيرة تلك الذبائح عينها الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيَّةَ ( عب ١٠: ١٢ ).

وقال لهم الرب في العهد القديم مُحْرَقَاتُكُمْ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ وَذَبَائِحُكُمْ لاَ تَلُذُّ لِي ( إر ٦: ٢٠ ) كما قال لاَ تَسُرُّهُ ذَبَائِحُهُمْ ( هو ٩: ٤ ).

عرف داود أن الله لا يؤثر ولا يسر بالذبائح الدموية. فالذبيحة الحقيقية المقبولة أمام الله هي الروح المتضعة المنسحقة التائبة، ويقول في ذلك معلمنا بولس الرسول: فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ ( رو ١٢ : ١ ).

## القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله

الله يحب الإنسان المتواضع صاحب القلب المنكسر والروح المنسحق ويكرمه ويسمع صلواته ويعطيه سؤل قلبه. أما كبرياء القلب والعناد فيؤدي إلى الكسر والهلاك. قال صموئيل النبي لشاول قبل ذلك بقليل: هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا الاِسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ لأَنَّ التَّمَرُّدَ كَخَطِيَّةِ الْعِرَافَةِ

( السحر ) ، وَالْعِنَادُ كَالْوَثَنِ وَالتَّرَافِيمِ. لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ رَفَضَكَ مِنَ الْمُلْكِ! ( ١صم ١٥: ٢٢ ، ٢٣ ).

## أنعم يارب بمسرتك على صهيون ولتبن أسوار أورشليم

بعد أن اطمأن داود إلى قبول توبته بدأ يطلب ويصلي من أجل أورشليم عاصمة ملكه ومن أجل جبل صهيون الذي أراد أن يبني عليه الهيكل العظيم مفخرة إسرائيل. طلب أن يحسن الله إلى أورشليم ويحصنها ويحفظ بداخلها جبل صهيون حيث توجد وقتها خيمة الاجتماع التي يقربون فيها الذبائح والمحرقات التي أمرت بها الشريعة.

إن النفس التي تابت وذاقت حلاوة العشرة مع الله تسعى لجذب الآخرين إلى الله وتقول لهم ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. كما نطلب من أجل سلامة الكنيسة وسلامها وبناء أسوارها أي تدعيمها وتقويتها لكي

تكون قوية بإيمانها وتعاليمها وطقوسها وقادرة على الصمود أمام تيارات العالم الشديدة.

اطْلُبُوا لأَجْلِ بُنْيَانِ الْكَنِيسَةِ ( ١كو ١٤: ١٢ كما يقول: فَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ لِلْبُنْيَانِ ( ١كو ١٤: ٢٦ ).

أورشليم العهد الجديد هي الكنيسة المقدسة عمود الحق وقاعدته وكل أولادها يجب أن يحبوها ويعملون على بنيانها ونموها وتقدمها لتكون سفارة السماء على الأرض. فهي بيت الله وباب السماء وهي أمنا من معموديتها نُولد ميلاداً روحانياً ومن مذبحها نقتات ونتغذى بجسد المسيح المحيي ونرتوي بدمه الكريم الذي يُعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه باستحقاق. فهي وسيلة الخلاص التي أعدها لنا الرب الذي يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.

## حينئذ تسر بذبائح البر قرباناً ومحرقات حينئذ يقربون على مذابحك العجول هللويا

الله يسر بذبائح البر وليس بالذبائح الحيوانية التي كان يقدمها اليهود. وذبائح البر هي الصلوات الطاهرة التي يقدمها القديسون من قلوب نقية وأفواه طاهرة، لأن الله روح والذين يسجدون له بالروح والحق ينبغي أن يسجدوا لأن الله يطلب مثل هؤلاء الساجدين له ( يو ٤: ٢٣، ٢٤ ). بالروح والخشوع فيقبلها مثل القرابين النقية والمحرقات الخالية من العيوب، كذلك ذبيحة الإفخارستيا التي بدأ يقدمها السيد المسيح أولاً في أورشليم وهي ذبيحة جسده ودمه الأقدسين ومنها انتشرت على مذابح كنائس العالم كله تعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منها باستحقاق، على المذبح حمل المسيح حمل الله الذي يحمل خطايا

العالم كله مذبوحاً عن العالم كله فادياً وفدية ومخلصاً للجميع، ذبيحة مقبولة أمام الله يتنسم منها رائحة البخور الذكي والرضا التام على أولاده.

أما آية: يقربون على مذابحك العجول فنلاحظ أن المرنم يقول مذابحك وليس مذبحك، لأن في العهد القديم كان يوجد مذبح واحد في خيمة الاجتماع هو مذبح المحرقة تقدم عليه الذبائح الحيوانية التي هي ظل الأمور العتيدة ( كو٢: ١٧ ) أما في العهد الجديد فقد انتشرت المذابح في العالم كله تُقدم عليها ذبيحة المسيح الناطقة أي ذبيحة جسده ودمه الأقدسين. وكانت هذه الآية نبوة من داود على انتشار ذبيحة المسيح على مذابح العالم أجمع وتبعتها نبوة ملاخي النبي القائلة: لأَنَّهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَرَّبُ لاِسْمِي بَخُورٌ وَتَقْدِمَةٌ طَاهِرَةٌ لأَنَّ اسْمِي

عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ قَالَ رَبُّ الْجُنُود ( ملا ١: ١١ ). كذلك صلوات المسيحيين وأصوامهم المقبولة أمام الله التي يقدمونها على مذابح عبادتهم العقلية كما ينصحنا معلمنا بولس الرسول: فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ ( رو ١٢: ١ ) فيعبدون الله بالروح والحق، والله يقبل عبادتهم كما يقول المرنم: أُسَبِّحُ اسْمَ اللهِ بِتَسْبِيحٍ وَأُعَظِّمُهُ بِحَمْدٍ فَيُسْتَطَابُ عِنْدَ الرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ ثَوْرٍ بَقَرٍ ذِي قُرُونٍ وَأَظْلاَفٍ لأَنَّ الرَّبَّ سَامِعٌ لِلْمَسَاكِينِ وَلاَ يَحْتَقِرُ أَسْرَاهُ ( مز ٦٩: ٣٠ – ٣٣ ) وأسراه يعني تابعيه والمؤمنين به.

ويقول هوشع النبي: " ارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ. قُولُوا لَهُ: ارْفَعْ كُلَّ إِثْمٍ وَاقْبَلْ حَسَناً فَنُقَدِّمَ عُجُولَ شِفَاهِنَا " ( هو ١٤: ٢ ).

١ ارحمني يا الله حسب رحمتك . حسب كثرة رأفتك امح معاصي

٢ اغسلني كثيرا من إثمي، ومن خطيتي طهرني

٣ لأني عارف بمعاصي، وخطيتي أمامي دائما

٤ إليك وحدك أخطأت، والشر قدام عينيك صنعت، لكي تتبرر في أقوالك، وتزكو في قضائك

٥ هأنذا بالإثم صورت، وبالخطية حبلت بي أمي

٦ ها قد سررت بالحق في الباطن، ففي السريرة تعرفني حكمة

٧ طهرني بالزوفا فأطهر . اغسلني فأبيض أكثر من الثلج

٨ أسمعني سرورا وفرحا ، فتبتهج عظام سحقتها

٩ استر وجهك عن خطاياي ، وامح كل آثامي

١٠ قلبا نقيا اخلق في يا الله، وروحا مستقيما جدد في داخلي

١١ لا تطرحني من قدام وجهك ، وروحك القدوس لا تنزعه مني

١٢ رد لي بهجة خلاصك ، وبروح منتدبة اعضدني

١٣ فأعلم الأثمة طرقك ، والخطاة إليك يرجعون

١٤ نجني من الدماء يا الله، إله خلاصي، فيسبح لساني برك

١٥ يارب افتح شفتي ، فيخبر فمي بتسبيحك

١٦ لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت كنت أقدمها، بمحرقة لا ترضى

١٧ ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تصيّره

١٨ أحسن برضاك إلى صهيون. ابن أسوار أورشليم

١٩ حينئذ تسر بذبائح البر، محرقة وتقدمة تامة. حينئذ يصعدون على مذبحك عجولا

FINE COMPANY
+202 233 14000/222